ك

قصة تبحث عمّن يقرؤها



قصّة: لميس عسلي
رسومات: علي الزيني



فِي بَلْدَةٍ غَريبَةٍ لَمْ يُحِبَّ أَحَدٌ الْقِراءَةَ؛ فَأُغْلِقَتِ الْمَكْتَبَةُ الْعامَّةُ الَّتي أَنْشَأَها الْأَجْدادُ؛ فَغَطَّى التُّرابُ وَالْغُبارُ جَميعَ الْقِصَصِ وَالْأَخْبارِ.

مَلَّتِ الْكُتُبُ وَالْقِصَصُ مِنَ الاِنْتِظارِ، فَلَمْ يَعُدْ يَأْتي إِلى هُنا زُوّارٌ، وَأَصْبَحَتِ الْكُتُبُ وَحيدَةً وَحَزينَةً، وَشارَفَتْ عَلى الاِخْتِناقِ.



وَلَكِنَّ قِصَّةً فَقَطْ قَرَّرَتْ عَدَمَ الِاسْتِسْلامِ، فَقالَتْ: لَنْ أَنْتَظِرَ الزُّوّارَ، بَلْ سَأَنْطَلِقُ وَأَبْحَثُ عَمَّنْ يَقْرَؤُوني. تَعالَتِ الْأَصْواتُ حَوْلَها: هَذا مَحْضُ انْتِحارٍ. لَمْ تَسْمَعْ أَحَدًا؛ لِأَنَّها أَخَذَتِ الْقَرارَ.

قَفَزَتْ عَنِ الرَّفِّ، نَفَضَتِ الْغُبارَ وَالتُّرابَ، وَبَدَأَتِ الْمَسيرَ؛ مِنْ أَيْنَ الْخُروجُ؟ فَكَّرَتْ وَفَكَّرَتْ، وَنَظَرَتْ حَوْلَها فَتَذَكَّرَتْ أَنَّ في الْبابِ فَتْحَةً لِإِرْجاعِ الْكُتُبِ عِنْدَما تَكونُ الْمَكْتَبَةُ مُغْلَقَةً، رَكَضَتْ نَحْوَها، قَفَزَتْ مَرَّةً وَمَرَّةً، وَفي النِّهايَةِ اسْتَطاعَتِ الْخُروجَ.



أَخَذَتْ تَعْدو وَتَسيرُ في شَوارِعِ الْبَلْدَةِ الْكَبيرَةِ، لَمْ تَرَ كِتابًا في أَيِّ مَكانٍ، أَوْ وَرَقَةً أَوْ حَتَّى إِشارَةً تُشيرُ إِلى أَيِّ مَكانٍ، كانَتْ بَلْدَةً غَريبَةً.



سارَتْ وَسارَتْ حَتَّى رَأَتْ قِطَّةً، فَقالَتْ لَها: أَيَّتُها الْقِطَّةُ الْجَميلَةُ اقْرَئيني؛ فَأَنا قِصَّةٌ جَميلَةٌ.

الْقِطَّةُ: ميو... ميو... أَنا لا أَعْرِفُ الْقِراءَةَ، أَنا أَصْطادُ الْفِئْرانَ لِلطَّعامِ، اِذْهَبي لِلْبَقَرَةِ هُناكَ في الْمَرْعى، رُبَّما تَعْرِفُ الْقِراءَةَ.





سارَتْ وَسارَتْ حَتّى رَأَتِ الْبَقَرَةَ: عَزيزَتي الْبَقَرَةَ، أَنا قِصَّةٌ جَميلَةٌ... اِقْرَئيني.

الْبَقَرَةُ: مو... مو... أَنا لا أَعْرِفُ الْقِراءَةَ وَعَمَلي أَنْ أُعْطِيَ الْحَليبَ، اِذْهَبي لِلْحِصانِ، فَرُبَّما يَعْرِفُ الْقِراءَةَ؛ فَهُوَ دائِمًا مَعَ الْإِنْسانِ.



الْقِصَّةُ تَسيرُ وَتَسيرُ بِخُطًى سَريعَةٍ لِتَصِلَ لِلْحِصانِ. إِنَّها تَراهُ، إِنَّهُ هُناكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ: أَيُّها الْحِصانُ الْجَميلُ، أَنا قِصَّةٌ جَميلَةٌ... اِقْرَأْني.

الْحِصانُ: نيه... نيه... أَنا لا أَعْرِفُ الْقِراءَةَ، اِذْهَبي لِلْخِرافِ، رُبَّما تَعْرِفُ الْقِراءَةَ.



لَمْ تَيْأَسِ الْقِصَّةُ، وَلَمْ تَمَلَّ، بَلْ تابَعَتِ الْمَسيرَ، رُبَّما تَصِلُ لِمَنْ يَقْرَؤُها. وَصَلَتْ إِلى قَطيعِ الْأَغْنامِ، وَنادَتْ: أَنا قِصَّةٌ جَميلَةٌ، مَنْ يَقْرَؤُني؟
أَجابَتِ الْأَغْنامُ بِصَوْتٍ واحِدٍ: باء... باء... نَحْنُ لا نَعْرِفُ الْقِراءَةَ، اِذْهَبي إِلى الرّاعي؛ فَهُوَ إِنْسانٌ.



نَعَمْ... نَعَمْ، تَذَكَّرْتُ، قالَتِ الْقِصَّةُ مُخاطِبَةً نَفْسَها: "الْإِنْسانُ هُوَ مَنْ كانَ يَزورُ الْمَكْتَبَةَ في الْماضي لِيَقْرَأَني، اِقْتَرَبْتُ مِنْ تَحْقيقِ الْهَدَفِ.

ها هُوَ هُناكَ يَجْلِسُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَيَعْزِفُ عَلى النّايِ".



القِصَّةُ: أَيُّها الرّاعي الْعَزيزُ، اِقْرَأْني؛ فأَنا قِصَّةٌ جَميلَةٌ. الرّاعي وَقَدْ وَضَعَ النّايَ جانِبًا: أَنا آسِفٌ! إِنَّني أُمِّيٌّ وَلا أَعْرِفُ الْقِراءَةَ، وَلَكِنّي سَآخُذُكِ هَدِيَّةً لِابْني سَعيدٍ؛ فَهُوَ يَعْرِفُ الْقِراءَةَ. حَمَلَ الرّاعي الْقِصَّةَ وَعادَ إِلى الْمَنْزِلِ، وَفَوْرَ وُصولِهِ نادى ابْنَهُ سَعيدًا.



الرّاعي: سَعيدُ... سَعيدُ، تَعالَ إِلى هُنا، أَحْضَرْتُ لَكَ هَدِيَّةً. جاءَ سَعيدٌ مُسْرِعًا مِنْ غُرْفَتِهِ وَالْأَفْكارُ تَمْلَأُ عَقْلَهُ، "يا تُرى، ما هِيَ هَدِيَّتُهُ؟ سَيّارَةٌ أَمْ لُعْبَةٌ خَشَبِيَّةٌ؟" أَعْطى الرّاعي ابْنَهُ الْكِتابَ، وَقالَ: هَذِهِ هَدِيَّتي، قِصَّةٌ جَميلَةٌ لِتَقْرَأَها. غَضِبَ سَعيدٌ وَقالَ: أَنا لا أُحِبُّ الْقِصَصَ، وَلا أُحِبُّ الْقِراءَةَ "، ثُمَّ أَخَذَ الْكِتابَ وَرَماهُ عَلى الْأَرْضِ.



حَزِنَتِ الْقِصَّةُ كَثيرًا، وَلَكِنَّها لَمْ تَسْتَسْلِمْ فَصَعِدَتْ عَلى الطّاوِلَةِ الْمَوْضوعَةِ في وَسَطِ الْغُرْفَةِ، وَفَتَحَتْ صَفَحاتِها عَلى صُوَرٍ جَميلَةٍ، وَبَيْنَما سَعيدٌ يَلْعَبُ بِأَلْعابِهِ في الْغُرْفَةِ، نَشَرَتْ عَبيرَها عِطْرًا مُمَيَّزًا... رائِحَةُ أَوْراقٍ قَديمَةٍ تَنْبَعِثُ في أَرْجاءِ الْغُرْفَةِ.



وَصَلَتِ الرّائِحَةُ إِلى أَنْفِ سَعيدٍ؛ فَأَخَذَ يَبْحَثُ عَنْ مَصْدَرِها في كُلِّ مَكانٍ، وَأَخيرًا اهْتَدى وَعَرَفَ أَنَّ الرّائِحَةَ تَنْبَعِثُ مِنَ الْكِتابِ...

نَظَرَ إِلى صَفَحاتِه واسْتَنْشَقَ الْمَزيدَ مِنَ الْعَبيرِ.



وَفَجْأَةً، أَخَذَ يَصْغُرُ وَيَصْغُرُ حَتَّى أَصْبَحَ بِحَجْمِ الْحُروفِ، وَدَخَلَ صَفحاتِ الْكِتابِ (حَوْلَ الْعالَمِ في يَوْمٍ)، بَدَأَ يَنْتَقِلُ بَيْنَ صَفَحاتِهِ فَوَجَدَ نَفْسَهُ في مِصْرَ، رَأَى مَبانِيَ شاهِقَةً لَمْ يَعْلَمْ عَنْها مِنْ قَبْلُ، سَمِعَ عِنْدَما زارَها أَنَّها الْأَهْراماتُ الثَّلاثَةُ الَّتي بَناها الْفَراعِنَةُ. مَدْفونٌ داخِلَها الْكَثيرُ مِنَ الْأَسْرارِ الَّتي تَجْذِبُ الْعُلَماءَ إِلَيْها مِنْ كُلِّ الْأَقْطارِ.



ثُمَّ رَكِبَ السَّفينَةَ الْمُتَّجِهَةَ مَعَ الْعُلَماءِ إِلى الْقُطْبِ الْجَنوبِيِّ لِمُراقَبَةِ الْبِطْريقِ، وَعِنْدَما وَصَلوا رَأى الطّائِرَ الْعَجيبَ الْبِطْريقَ عَلى الثَّلْجِ يَسيرُ بِكُلِّ ثَباتٍ، وَيَعيشُ بِرِفْقَةِ مَجْموعاتٍ كَبيرَةٍ، وَكانَ يَنْظُرُ إِلَيْنا دونَ خَوْفٍ.



وَمِنْ ثَمَّ سافَرْنا بِالطّائِرَةِ إِلى أُسْتُراليا؛ حَيَواناتٌ رائِعَةٌ هُناكَ لَمْ أَسْمَعْ عَنْها مِنْ قَبْلُ؛ دُبُّ الْبانْدا جَميلٌ جِدًّا، وَالْكَنْغَرُ حَيَوانٌ لَطيفٌ لَهُ جِرابٌ يَضَعُ طِفْلَهُ داخِلَهُ. سَعيدُ... سَعيدُ... وَصَلَهُ صَوْتُ أُمِّهِ مُنادِيًا؛ فَعادَ كُلُّ شَيْءٍ لِما كانَ مِنْ قَبْلُ، وَجَدَ نَفْسَهُ يَنْظُرُ إِلى الْكِتابِ.

الْأُمُّ: نادَيْتُكَ مَرّاتٍ وَمَرّاتٍ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تُجِبْ." سَعيدٌ: "كُنْتُ مَشْغولاً..." وَغَمَزَهُ الْكِتابُ لِيَحْتَفِظَ بِالسِّرِّ.



سُرَّ سَعيدٌ كَثيراً بِهَذِهِ الْمُغامَرَةِ، وَوَجَدَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ الْكَثيرَ؛ لِأَنَّهُ لا يَقْرَأُ؛ فَبَدَأَ بِقِراءَةِ قِصَصٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَمِنْ خِلالِ قِراءَتِهِ زارَ أَماكِنَ عَديدَةً، وَتَعَرَّفَ عَلى أَبْطالٍ كَثيرينَ.



وَبِـمُساعَدَةِ مُعَلِّميهِ وَأَصْدِقائِهِ، أَعادوا فَتْحَ الْمَكْتَبَةِ وَعادَتِ الْقَرْيَةُ لِما كانَتْ عَلَيْهِ زَمَنَ الْأَجْدادِ،
وَنَجَحَتْ قِصَّتُنا في إيجادِ مَنْ يَقْرَؤُها، بَلْ أَعادَتِ الْحَياةَ أَيْضًا لِأَصْدِقائِها.


النِّهايَةُ